

حكم ترتيب سور القرآن وآياته وعلاقته بالمناسبات

دراسة تفسيرية حديثة

The ruling on arranging the surahs and verses of the Qur'an, a modern interpretive studyد. عدنان بن محمد أبو عمر^{1*}، محمد براء بن عبدالغني الصباغ²

الكلية الجامعية للآم والعلوم الأسرية، draboomar@hotmail.com

باحث دكتوراه) جامعة يلوا (تركيا)، m.baraa.sab@hotmail.com

تاريخ الاستلام: 2022/10/03 تاريخ القبول: 2023/01/04 تاريخ النشر: 2023/03/30م

الملخص:

إن القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة يعتبران الأصل وما سواهما فرع عنهما، فهما عمدة في تقرير الأحكام الشرعية لمрад الله تعالى من عباده، والله تعالى كما تكفل بحفظ كتابه فقد تكفل بحفظ سنة نبيه ﷺ فمن خلالها يتضح بيان كثير من نصوص القرآن، ومن هنا تبين معنا جلياً منزلة ومكانة ووظيفة السنة بالنسبة للقرآن، وقد وقع ترتيب الآيات القرآنية في سورها بتوقيفه ﷺ ولا خلاف في هذا، والإجماع منعقد من غير خلاف بين المسلمين على ترتيب الآيات في سورها، وما يدل بظاهره من الآثار على أنه اجتهادي معارض ساقط عن درجة الاعتبار، وتعتبر الوحدة الموضوعية والأسلوبية التي تبدو في كثير من السور مما يقطع التفكير في أي احتمال لكون ذلك الترتيب اجتهاداً من الصحابة، وهذا يعبر عنه العلماء بعلم المناسبة وهو علم ارتباط أي القرآن بعضها ببعض وهو علم جليل ودقيق وقد ألفت فيه كتب ودراسات قديمة ومعاصرة متنوعة، وقد خلص البحث إلى أن في ترتيب السور ثلاثة آراء: أ- إن ترتيب جميع السور توقيفي وهو الراجح ب- إن ترتيب جميع السور اجتهادي ج- إن ترتيب بعض السور توقيفي وبعضها الآخر اجتهادي، وبين تعلق كل قول وأثره في قضية المناسبة القرآنية التي قال بها أهل العلم.

الكلمات المفتاحية: القرآن؛ السور؛ الآيات؛ ترتيب؛ المناسبة.

ABSTRACT:

The quran and sunnha are considered the root and everything else is branch of them, as they are the basic in all the islam rules and controls. The study evaluate the judgment of arrangement of quran suhras and Ayat “verses “as if it is an order from allah “inspiration “that should be followed, or they are scientists effort and could be changed, or they could be both?

The study clarifies how thoses arrangements of surhas and Ayat influences in the islamic science and specifically the science of occasion which is the relation of the quran verses “ayat “.

The study illustrates the importance of this topic which the scientists mentioned in interpretation, quran, tajweed books.

KEY WORDS: QURAAN, SUNNAH, OCCASION, ARRANGMENT, HADITH.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

1. المقدمة:

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً، الحمد لله القائل: في محكم تنزيله: ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل: 44]. الحمد لله الذي شرع الأحكام للناس في قرآنه المبين، وبيّن تفصيل أحكامه بخاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه.

وبعد: فالقرآن الكريم كتاب الله تعالى وفيه مراده من خلقه، والسنة النبوية بيان وتفسير لهذا القرآن الكريم، وشرح لأحكامه، وبعض آياته، وبسط لأصوله، والسنة متى صحت وثبتت، فهي ملزمة، وواجبة الاتباع.

ومن هنا فقد اعتنت هذه الأمة بتبليغ هذين الأصلين: القرآن والسنة، فقد حفظ الصحابة رضوان الله عليهم القرآن الكريم وحملوه، وكذلك عني هؤلاء بالسنة المطهرة حفظاً وفهماً وفقهاً.

قال ﷺ: «تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا مَا تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا: كِتَابُ اللَّهِ وَسُنَّتِي»⁽¹⁾.

وهذا البحث يتناول مسألة غاية الأهمية، وهي: (ترتيب سور القرآن وآياته دراسة تفسيرية حديثة).

مشكلة البحث وأهميته والغرض منه:

تتخلص مشكلة البحث في البيان والرد على من يطعن في القرآن من خلال الشكك في ترتيب آياته وسوره وأن هذا أمر اجتهادي وليس توقيفياً بقصد تشكيك المسلمين بأصل دينهم وكلام ربهم ﷻ.

كما وتبحث الدراسة إجابة سؤال رئيس وهو: ما حكم ترتيب آيات القرآن وسوره؟ ويتفرع عنه عدد من الأسئلة منها:

● السؤال الأول: ما هي أقوال أهل العلم في مسألة ترتيب آيات القرآن الكريم؟ وما هي وجوه اختياراتهم؟

● السؤال الثاني: ماهي حجة أصحاب النبي ﷺ وموقفهم في قضية ترتيب سور وآيات القرآن؟

● السؤال الثالث: ما هو الأثر العلمي الذي يبني عليه القول بأن ترتيب آيات وسور القرآن كانت توقيفياً لا توفيقياً؟ وما هي علاقة ودور المناسبات المنهجية في ذلك؟ وما هو هذه المسألة من قضية الإعجاز وما يتعلق بها؟

أهمية الموضوع والغرض منه، وسبب اختياره:

أ – أهمية الموضوع والغرض منه:

تتجلى أهمية الدراسة في أمور منها:

(1) مالك في الموطأ، بلاغاً (هو ما رواه مالك بصيغة (بلغي)) يرفعه للنبي ﷺ بدون سند، كتاب القدر، باب: النبي عن القول في القدر، راجع شرح الزرقاني رقم 1727 (4/330)، وانظر: تخريجه في الموطأ، رقم 3 ص 644، قال الزرقاني: ((مر أن بلاغه صحيح كما قال ابن عينة، وأخرجه ابن عبد في حديث كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف عن أبيه عن جده، وله شاهد من حديث ابن عباس بسند حسن أخرجه الحاكم في مستدرکه (1/93).

1. أنها تتعلق بأعظم العلوم وأجلها وهي علوم القرآن.
2. مكانة علم المناسبات وأثرها من علوم القرآن وكتب التفسير.
3. تعلق مسألة حكم ترتيب السور بعدد من موضوعات علوم القرآن.
4. عدم وجود دراسة مستقلة تناولت قضية ترتيب سور القرآن وعلاقتها بالمناسبات.
5. بيان وجوه الإعجاز القرآني لترتيب الآيات والسور.
6. تقييم اختيارات علماء التفسير وعلوم القرآن لمسألة ترتيب الآيات والسور القرآنية

ب - سبب اختيار الموضوع:

من الممكن أن نعتبر الفقرة السابقة (أهمية الموضوع) سبباً من أسباب اختيار هذا الموضوع، فكلما كان الموضوع مهماً؛ كانت الحاجة إليه أكبر وأكثر.

المنهج المتبع في كتابة البحث:

ولقد فرضت طبيعة البحث استخدام المنهج الوصفي والمنهج التحليلي، وذلك على

النحو الآتي:

أولاً: المنهج الوصفي: حيث قامت الدراسة باستقراء جزئي لأحاديث النبي ﷺ التي جاء فيها منهجه ونمجه أصحابه من بعده في قضية ترتيب الآيات والسور وبيان اختلاف العلماء فيها.

ثانياً: المنهج التحليلي الاستنباطي: وذلك من خلال استخلاص أبرز النتائج التي تترجم غاية الموضوع ومقاصده.

الدراسات السابقة:

وإنه بعد الاطلاع والبحث الدقيق في هذا الموضوع فإننا لم نجد دراسة مستقلة تناولت موضوع هذا البحث (حكم ترتيب سور القرآن وآياته وعلاقته بالمناسبات دراسة تفسيرية حديثة) تبين دورها في قضية المناسبة وعلاقتها بالإعجاز القرآني سوى بعض ما كتب في كتب علوم القرآن كأسرار ترتيب القرآن للسيوطي، وجمع القرآن للدكتور عمر محمود السامرائي، وجمع القرآن للدكتور فهد الرومي، ونحوها، وهذه الدراسات على ما تضمنته من جهود علمية واضحة في هذا السياق غير أنها لم تدرس آثار القول وما يترتب عليها وما وجه المفاضلة بين كل منها، فهي بذلك لم توضح دور هذه المسألة في الملف العلمي وموقعها المنهجي في موضوع المناسبة وهذا من جملة ما سنقوم به في هذه الدراسة بإذن الله تعالى.

خطة البحث:

الخطة وضعتها على النحو الآتي:

مقدمة: وتشتمل على: أهمية الموضوع والغرض منه وسبب اختياره والمنهج المتبع في كتابة البحث.

المبحث الأول: تعريف القرآن والمناسبات لغة واصطلاحاً، وفيه مطالب:

المطلب الأول: تعريف القرآن في اللغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: تعريف المناسبات لغة واصطلاحاً.

المبحث الثاني: حكم ترتيب الآيات داخل سور القرآن وعلاقته بالمناسبات، وفيه مطالب

المطلب الأول: حكم ترتيب الآيات داخل سورها.

المطلب الثاني: علاقة المناسبات بحكم ترتيب الآيات في السورة الواحدة:

المبحث الثالث: حكم ترتيب سور القرآن الكريم.

المطلب الأول: أقوال العلماء في حكم ترتيب سور القرآن

المطلب الثاني: بيان الراجح في مسألة ترتيب سور القرآن ومناقشة الأقوال الأخرى.

الخاتمة: وتتضمن أهم ما انتهى إليه البحث من نتائج وتوصيات، وفهرس المصادر والمراجع.

المبحث الأول: تعريف القرآن والمناسبات لغة واصطلاحاً وفيه مطالب:

المطلب الأول: تعريف القرآن في اللغة والاصطلاح:

أولاً: تعريف القرآن في اللغة:

لقد اختلف علماء اللغة في لفظ القرآن، فهذا اللفظ عند بعضهم مهموز، وعند بعضهم الآخر ليس بمهموز فالذين قالوا إنه مهموز منهم: الزجاج⁽¹⁾ واللحياني⁽²⁾، وجماعة، قالوا: إن لفظ القرآن مهموز على وزن فعلان، بضم الفاء مصدر مشتق من القرء بمعنى الجمع. ومنه: قرأ الماء في الحوض إذا جمعه، فهو كالغفران، فقرأته قرءاً، وقراءة، وقرناً بمعنى واحد، يقال: قرأ الماء في الحوض، أي جمعه، وضمه، ومنه سمي القرآن بهذا، لأنه يجمع السور بعضها إلى بعض، ولأنه يجمع ثمرات الكتب السابقة المنزلة من عند الله، ولأنه يجمع كل أنواع العلوم⁽³⁾، وهذا قول الزجاج.

ويأتي أيضاً مصدر (قرأ) مهموز اللام من يقرأ قراءة وقرئاً، بمعنى: تلا، يتلو، تلاوةً.

فالقرآن في الأصل كالقراءة، مصدر، ثم نقل في عرف الشرع من هذا المعنى، وجعل علماء على مقروء معين، وهو من باب تسمية المفعول بالمصدر، أي إطلاق القراءة على المقروء، وهذا قول اللحياني⁽⁴⁾ وقد ورد بهذا المعنى في قوله تعالى: ﴿لَا تُحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾^(١٦) إِنَّ عَائِنَا جَمَعَهُ، وَقُرْآنَهُ، ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ، ﴿١٨﴾ (القيامة: 16 – 18)

(1) الزجاج (241 – 311 هـ = 855 – 923 م) إبراهيم بن السري بن سهل أبو إسحاق الزجاج، عالم بالنحو واللغة، ولد ومات ببغداد، وكانت له مناقشات مع ثعلب وغيره، ومن كتبه: معاني القرآن، وإعراب القرآن وغيرهما انظر معجم الأدباء لياقوت الحموي 1 / 130 – 131، والمنظّم في تاريخ الأمم والملوك: عبد الرحمن بن الجوزي 13 / 223 – 228 رقم 2204، والأعلام للزركلي 1 / 40.

(2) اللحياني: أبو الحسن علي بن حازم، اللغوي المشهور المتوفى سنة 215، وقد أفاد ابن سيده من كتبه في تأليف كتابه (المخصص). انظر أنباء الرواة على أنباه النحاه علي بن يوسف القفطي 2 / 255، ومعجم المؤلفين عمر رضا كحالة 2 – 417.

(3) انظر: الإتيقان في علوم القرآن السيوطي 1 / 162، الزيادة والإحسان في علوم القرآن محمد بن أحمد عقيلة 1 / 362، وانظر القاموس المحيط للفيروز آبادي ص 62 مادة قرأ، ومختار الصحاح للرازي ص 526 مادة قرأ، وجمال القراء وكمال الإقراء علي بن محمد السخاوي 1 / 72-74.

(4) انظر: البرهان للزركشي 1 / 348، والإتيقان للسيوطي 1 / 162، والقاموس المحيط ص 62 مادة قرأ ومختار الصحاح 526 مادة اقرأ، والزيادة والإحسان 1 / 363، والمعجم الوسيط إبراهيم أنيس، وآخرون 2 / 722.

وقد جاء في سبب نزولها ما يدل على هذا المعنى، عن ابن عباس رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعالج من التنزيل شدة، وكان مما يحرك شفتيه، فقال ابن عباس: فأنا أحركهما لكم كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحركهما، وقال سعيد بن جبیر: أنا أحركهما كما رأيت ابن عباس يحركهما - فحرك شفتيه - فأنزل الله تعالى: { لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ } قال: جمعه لك في صدرك وتقرأه { فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ } قال: فاستمع له وأنصت، { ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ } ثم إن علينا أن نقرأه.

فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك إذا أتاه جبريل استمع، فإذا انطلق جبريل قرأه النبي صلى الله عليه وسلم كما قرأه ⁽¹⁾، فهذا الحديث يدل على المعنى المذكور بأن القرآن مهموز (من القراءة). وأما الذين نصوا أن لفظ القرآن غير مهموز وهم: الشافعي، والفراء، والأشعري، ومن تبعهم؛ فإنهم قد اختلفوا في أصل اشتقاقه أيضاً أخرج الحاكم في مستدركه عن الشافعي أنه قال: قرأت على إسماعيل بن قسطنطين وكان يقول: القرآن اسم وليس بمهموز، ولم يؤخذ من ((قرأت)) ولو أخذ من ((قرأت)) كان كل ما قرئ قرأناً، ولكنه اسم للقرآن مثل التوراة والإنجيل، يهمز قرأت، ولا يهمز القرآن ⁽²⁾.

قال صاحب الإتقان: ((المختار عندي في هذه المسألة ما نص عليه الشافعي)) ⁽³⁾. ويرى الفراء: إنه مشتق من القرائن، جمع قرينة، لأن آياته يشبه بعضها بعضاً، ويصَدِّق بعضها بعضاً، وهي قرائن، أي: أشباه ونظائر ⁽⁴⁾. ويقرر الأشعري أن القرآن مشتق من: قرن الشيء بالشيء إذا ضمه إليه، وسي القرآن بهذا، لأن سوره وآياته تقرن فيه وتضم بعضها إلى بعض ⁽⁵⁾.

⁽¹⁾ أخرجه البخاري: كتاب بدء الوحي، باب: كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ص 22، رقم 5، واللفظ له، ومسلم: كتاب الصلاة، باب الاستماع للقراءة 2 / 402 رقم 448.

⁽²⁾ المستدرک على الصحيحين كتاب التفسير - القراءات 20 / 230.

⁽³⁾ الإتقان في علوم القرآن 1 / 163، وانظر الزيادة والإحسان في علوم القرآن لابن عقيلة 1 / 363 - 364.

⁽⁴⁾ انظر: نسبة هذا القول إلى الفراء في الإتقان للسيوطي 1 / 162، والزيادة والإحسان في علوم القرآن لابن عقيلة 1 / 362 - 363.

⁽⁵⁾ انظر نسبة هذا القول إلى الأشعري في الإتقان للسيوطي 1 / 162، والزيادة والإحسان في علوم القرآن لابن عقيلة 1 / 362 - 363.

ولعل مرد اختلاف بحث العلماء في كونه مهموزاً أو غير مهموز، أخذ كل بالقراءة التي تؤيد مذهبه إذ الذي يبدو أن القراءتين كلتيهما صحيحة لأن القراءات السبعة الصحيحة جاءت بالاثنتين⁽¹⁾.

ثانياً: تعريف القرآن في الاصطلاح:

أما تعريف القرآن اصطلاحاً: فقد تعددت تعاريف العلماء له بسبب تعدد الزوايا التي ينظر العلماء منها إلى القرآن، ونحن نختار هنا التعريف المناسب لغرض دراستنا، أعني التمهيد بمعارف عامة ومهمة عن القرآن الكريم⁽²⁾ وهو تعريف علماء الأصول، قالوا في تعريفه:

القرآن: هو كلام الله المنزل على خاتم الأنبياء سيدنا محمد ﷺ بواسطة جبريل عليه السلام المعجز المكتوب في المصاحف المنقول إلينا بالتواتر المتعبد بتلاوته، المبدوء بسورة الفاتحة المختوم بسورة الناس⁽³⁾.

شرح التعريف: اشتمل التعريف الذي ذكر آنفاً للقرآن على الصفات التالية، وهي تعتبر في اصطلاح أهل التعاريف قيوداً تميز القرآن عن غيره.

فقولهم: كلام الله المنزل: الكلام: جنس يشمل أي كلام كان، فعندما أضفناه إلى الله ﷻ، أصبح قيدياً، فخرج بذلك كلام غير الله، مهما كان عظيماً، فالقرآن ليس بكلام إنس ولا جن، ولا ملائكة، ولا نبي، ولا رسول، فلا يدخل فيه لا الحديث القدسي، ولا الحديث النبوي الشريف.

⁽¹⁾ انظر: منزلة السنة من الكتاب، وأثرهما في الفروع الفقهية. محمد سعيد منصور ص20 قرأ ابن كثير بنقل حركة الهمزة إلى الراء الساكنة قبلها مع حذف الهمزة لفظ "قرآن" ليصبح "قران" فهو على هذه القراءة غير مهموز.

وقرأ الباقر وهم: نافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وعاصم، وحمره، والكسائي، بإثبات الهمزة، وسكون الراء، فهو على هذه القراءة مهموز. ينظر: المبسوط في القراءات العشر أحمد بن الحسين بن مهران الأصهباني ص142، وكتاب العنوان في القراءات السبع إسماعيل بن خلف المقرئ الأنصاري الأندلسي ص73.

⁽²⁾ انظر: علوم القرآن الكريم للدكتور نور الدين عتر ص10.

⁽³⁾ ينظر: إعجاز القرآن للباقراني ص29، والإحكام في أصول الأحكام سيف الدين الأمدي 1 / 159، وكشف الأسرار عن أصول البزدوي عبد العزيز أحمد البخاري 1 / 21، ونهاية الوصول إلى علم الأصول أحمد بن علي بن الساعاتي 1 / 246 - 247، والزيادة وإحسان في علوم القرآن محمد بن أحمد بن عقيلة المكي (ت 1150هـ) 1 / 102، وإرشاد الفحول للشوكاني ص29 - 30، والمدخل لدراسة القرآن الكريم للشيخ محمد بن محمد أبو شهبة ص3، قال ابن الساعاتي: القرآن " المنزل المكتوب في المصحف المتواتر بلا شبهة، وزاد بعضهم: بالأحرف = السبعة المشهورة، وليس بسديد، فإن النقل المتواتر والكتابة فرع تصوره فهو دور ". نهاية الوصول أحمد ابن علي بن تغلب الساعاتي 1 / 247، كذا قال الأمدي في الإحكام 1 / 159.

وخرج بقيد: المنزل على خاتم الأنبياء سيدنا محمد ﷺ: الكتب التي أنزلها الله على الرسل قبله، كصحف إبراهيم: والتوراة المنزلّة على نبي الله موسى، والإنجيل الذي نزل على سيدنا عيسى عليه السلام فلا يسمى شيء من هذا قرآناً.

وخرج بقيد: المعجز: الأحاديث النبوية، وسائر الكتب السماوية المنزلّة لأن الإعجاز أعظم خصائص القرآن، حتى لو عرف بهذه الصفة: الكلام المعجز لكفى.

قال الله ﷻ: ﴿ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً ﴾ [الإسراء:88].

وهذا الإعجاز برهان قاطع على أن القرآن كلام الله، وأنه الحق الذي يجب الإيمان به واتباعه، والابتعاد عن مخالفته وعصيانه.

والمكتوب في المصاحف⁽¹⁾: هذه مزية لهذا القرآن العظيم أنه كتب وحفظ منذ عهد النبي ﷺ، وبإشرافه، ولما جمع الصحابة القرآن في المصحف وكتبت المصاحف في عهد عثمان ﷺ.

أجمع الصحابة بدون خلاف على أن يجردوا المصحف من كل ما ليس بقرآن فمن ادعى قرآنية شيء ليس في المصحف فدعواه باطلة ومردودة عليه، وهو من المارقين من هذا الدين أعادنا الله تعالى.

والمنقول إلينا بالتواتر: هذا يعني أن جمعاً عظيماً قد نقله فلا يمكن تواطؤهم على الكذب، ولا وقوع الخطأ منهم صدفة، وهؤلاء ينقلون القرآن عن جمع مثلهم، وهلم جراً إلى النبي ﷺ وهذا يفيد العلم اليقيني القاطع بأن هذا القرآن إنما هو كلام الله تعالى.

وهذا القيد قد أخرج كل ما قيل إنه قرآن ولم يتواتر، مثل القراءات الشاذة، فإنها رويت على أنها من القرآن إلا أن نقلها آحاداً، قد جعلها غير معتبرة.

(1) معلوم أن القرآن كان قرآناً زمن النبي ﷺ مع أنه في ذلك الوقت لم يكن مكتوباً بين دفتي المصاحف، ولم يكن نقل إلينا بالتواتر، ومن هذا نعرف أن زيادة هذين القيدتين في التعريف نشأ من أن الذين عرفوه هكذا، إنما أرادوا تعريفه بالنسبة لأهل زمانهم، ولن يأتي بعدهم ممن لم يكونوا في زمن التنزيل، وقبل جمعه في المصاحف. انظر: التعريف بالقرآن والحديث محمد الزفزاف ص16.

فإننا لا نعتبر قراءة ابن مسعود قرآناً في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ لَّمْ يُجِدْ فِصْيَامٌ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾ [المائدة: 89] فقد زاد ابن مسعود (متابعات)، ولا قراءة ابن عباس رضي الله عنه ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [البقرة: 198] (في موسم الحج) بزيادة في موسم الحج، وأمثال ذلك لا يصح أن نعتبره قرآناً، ولا حديثاً نبوياً، فهي إما أن تكون قراءة تفسيرية للآية، أو رأياً لمن أثبتها.

المتعبد بتلاوته: أي الذي يتلو القرآن مثاب على ذلك، ولو لم يكن استحضر نية تحصيل الثواب بالتلاوة، وتلاوة القرآن في الصلاة ركن لا تصح الصلاة بدونها فما ورد من قراءات من طريق الأحاد، وكذلك الأحاديث القدسية، لا يتعبد بتلاوتها في الصلاة، فلا تأخذ حكم القرآن في ذلك ⁽¹⁾.

المطلب الثاني: تعريف المناسبة القرآنية

تكاد كلمة المشتغلين المعاصرين في القرآن وعلومه تجتمع على تصور موحد لمفهوم (المناسبة)، بل قد لا يجد بعض الباحثين منهم حاجة علمية لتعيين تعريفٍ محددٍ جامع مانع يبيِّن المقصود منه؛ غير أن نتاج هذه التصورات وما تنبني عليه من قضايا علمية ومنهجية لا يوحي بفهم مشترك مبني على اتفاقهم النظري، وهذا بالضبط أحد أهم أسباب الاختلاف في كثيرٍ من الملفات الاجتماعية والإنسانية المتنوعة، فمن تأمل عدداً من تباين الآراء في مسألة معينة وجد أن أسس الاختلاف ومنشأه كان ضبابيةً تصوّر المفهوم العام، وعدم تطابق الصُّورة التطبيقية عند الطرفين، فإنّ الفهم الفردي لا يعكس بالضرورة حقيقة المسألة وطبيعتها، وقضية تحديد المصطلحات من أهم القضايا الخادمة لمبدأ التّصورات، لا سيما عند ترابط عددٍ من العلوم وتلاقح المخرجات الخاصة بها في مسألةٍ محددة، وبذلك يمكن الوصول لنتيجة معرفية واضحة محددة، إذ الحُكم على الشيء فرعٌ عن تصوّره.

(1) انظر: إعجاز القرآن للباقلاني ص 29، ونهاية الوصول لابن الساعاتي 1 / 247 - 249، والبحر المحيط للزركشي 1 / 356 - 357، والزيادة والإحسان في علوم القرآن لابن عقيلة 1 / 102 - 107، قال ابن عقيلة: ((فإن القرآن باعتبار الوجد الذهني محفوظ في الصدور، وباعتبار الوجد اللساني مقروء بالألسنة، وباعتبار الوجد الكتابي مكتوب في المصاحف، وباعتبار الوجد الخارجي، وهو المعنى القائم بالذات المقدسة، ليس في الصدور، ولا بالألسنة، ولا في المصاحف، وأما الألفاظ المركبة من الحروف، فإنها أصوات هي أعراض والله أعلم)) الزيادة والإحسان 1 / 103، وعلوم القرآن للدكتور نور الدين عتر ص 10 - 12، و منزلة السنة من القرآن، محمد سعيد منصور ص 22 - 24، والنبأ العظيم للدكتور محمد عبد الله دراز ص 14 - 17، ومباحث في علوم القرآن، مناع القطان ص 19 - 20، ومباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح ص 11 - 12.

أولاً: المناسبة لغة:

المناسبة في اللغة هي: المشاكلة والتلاؤم والتجانس، ويصح أن تكون بمعنى المقاربة، يقال: فلان يناسب فلانا فهو نسيبه أي قريبه، وهي مأخوذة من الفعل (نسب) أي: اتصل الشيء بالشيء، ومنه (النسيب) وهو القريب المتصل بغيره كالأخ وابن العم فبينهما مناسبة وقاربة¹. وعبارات اللغويين في ذلك وإن اختلفت ألفاظها فهي من باب اختلاف التنوع للدلالة على نفس المراد وما يرتبط به وهو الاتصال والتقارب سواء كان هذا التقارب من كل الأوجه أو من وجه واحد فقط دون بقية الأوجه. وقد أشار بعض الباحثين إلى وجود بعض الألفاظ التي تدخل في معنى المناسبة وتدور في نفس سياقها الدلالي منها: (النظم) و(العلاقة)². ثانياً: المناسبة اصطلاحاً: لقد تنوعت تعابير أهل العلم في الدلالة على مفهوم المناسبة وتباينت مسالكهم في توضيح ذلك، ومن جملة ما يبين هذا ما ذكره ابن أبي الإصبع في تقسيمه للمناسبة فقال: المناسبة على ضربين مناسبة في المعاني ومناسبة في الألفاظ³، وقد جاء البقاعي رحمه الله فجعل لهذا المصطلح هوية خاصة به تميزه عن غيره فأقام له الأركان جاعلاً منه علماً يقوم بذاته وتدرس مسائله بشكل خاص ولذلك قال: علم المناسبات في القرآن علم تعرف منه علل ترتيب أجزائه⁴، وبذلك يمكن القول إن المناسبة القرآنية هي: ما يعرف بها أوجه الارتباط باختلاف أنواعها في القرآن الكريم.

ومن خلال هذا التعريف يمكن الإحاطة بصور المناسبات اللفظية والمعنوية والعقلية وعدم حصرها في الآيات أو السور القرآنية كما سيأتي بيانه لاحقاً إن شاء الله تعالى.

¹ ينظر الفيروز آبادي(ت:817هـ)، مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2005م، ص: 176. وينظر ابن فارس (ت: 395 هـ)، أبو الحسين أحمد بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، حققه وضبطه: عبد السلام محمد هارون، بيروت، دار الفكر، 1399هـ – 1979م، (423/5)، والزبيدي (ت: 1205هـ)، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهداية، 1379هـ، مادة نسب.

² عبد الله القرني، المناسبات في القرآن الكريم ودراسة تطبيقية من تفسير الرازي، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، السعودية، 1413هـ، ص: 18.

³ ينظر ابن أبي الإصبع (ت: 654هـ)، عبد العظيم بن الواحد بن ظافر ابن أبي الإصبع العدواني، بديع القرآن، تحقيق: حفي محمد شرف، هضة مصر للطباعة والنشر، مصر، 1995م، (149/1).

⁴ ينظر البقاعي (ت: 885هـ)، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآي والسور، دار الكتاب الإسلامي، مصر- القاهرة، 1997م، (5/1).

المبحث الثاني: حكم ترتيب الآيات داخل سور القرآن وعلاقته بالمناسبات

المطلب الأول: حكم ترتيب الآيات داخل سور القرآن:

هناك عدة روايات تؤكد أن وضع الآيات وترتيبها في السور على ما هي عليه الآن كان عملاً يتم بتوجيه من النبي ﷺ وبأمره، وفي هذا المعنى وردت كثير من الروايات والآثار ومن ذلك:

- ما روي عن سيدنا عثمان بن عفان ؓ قال: كان رسول الله ﷺ مما يأتي عليه الزمان وهو تنزل عليه السور ذوات العدد، فكان إذا نزل عليه الشيء دعا بعض من كان يكتب فيقول: ((ضَعُوا هَؤُلَاءِ الْآيَاتِ فِي السُّورِ الَّتِي يُذَكِّرُ فِيهَا كَذَا وَكَذَا))، وإذا نزلت عليه الآية فيقول: ((ضَعُوا هَذِهِ الْآيَةَ فِي السُّورَةِ الَّتِي يُذَكِّرُ فِيهَا كَذَا وَكَذَا...))⁽¹⁾.
- حديث عبد الله بن الزبير ؓ: قلت لعثمان بن عفان لم تكتبون آية منسوخة؟ قال: ((يا ابن أخي لا أغير شيئاً من مكانه))².

فهذه الأحاديث الصحيحة وأمثالها صريحة الدلالة في أن ترتيب الآيات في كل سورة كان بتوقيف من النبي ﷺ ولا مجال لأحد بعده في التعديل أو التغيير أو التبديل.

ولعل من أبرز ما يؤكد ذلك أنهم رضي الله عنهم كانوا يرتبون آيات السور على ما تعارف عليه الناس اليوم ولو جاء الناسخ قبل المنسوخ في سورة واحدة كما في قوله تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ﴾ [البقرة: 234] فهي ناسخة لما بعدها ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتْلَعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَّعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [البقرة: 240] فلو كان الترتيب توقيفي غير توقيفي لأخر الصحابة الناسخ وقدموا المنسوخ على ما يقتضيه العمل الأصولي والترتيب العقلي، وحيث وقعت هذه الصورة فقد نفت جواز القياس في أمثالها مما يؤكد أن ترتيب آيات السور عمل توقيفي عن النبي ﷺ.

⁽¹⁾ أخرجه أبو داود كتاب الصلاة، باب: من جهر بها - أي البسمة - 1 / 268 - 269 رقم 786، والترمذي كتاب تفسير القرآن، باب: ومن سورة التوبة 5 / 254 رقم 3086، واللفظ له، قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح.

⁽²⁾ أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب (والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً)، برقم: 4256، (3/6).

- عدم ورود خبر واحد صحيح صريح سالم المعارضة يفيد أن أحدا من صحابة النبي صلى الله عليه وسلم تصرف برأيه واجتهاده المحض في وضع آية مكان.
- وعلى ذلك انعقد الإجماع ((أن ترتيب الآيات في سورها وقع بتوقيفه ﷺ وأمره من غير خلاف في هذا بين المسلمين))⁽¹⁾.
- قال الزركشي: ((فأما الآيات في كل سورة، ووضع البسمة أوائلها فترتيبها توقيفي بلا شك ولا خلاف فيه، ولهذا لا يجوز تعكيسها))⁽²⁾ وقال السيوطي: ((ولا شبهة في ذلك))⁽³⁾.
- وقال الألوسي موضحا ذلك: ((فعلم أن ترتيب آيات القرآن وسوره بتوقيف من النبي ﷺ، أما ترتيب الآية فكونه توقيفياً مما لا شك فيه، حتى نقل جمع منهم الزركشي وغيره الإجماع عليه من غير خلاف بين المسلمين، والنصوص متضافرة على ذلك وما يدل بظاھر من الآثار على أنه اجتهادي معارض ساقط عن درجة الاعتبار))⁽⁴⁾.
- ويكفي ثبوت الترتيب هذا قراءة النبي ﷺ لسور كثيرة بمشهد من الصحابة رضوان الله عليهم، ثم نقله للتابعين على هذا النحو، حتى وصل إلى جيلنا هذا من غير خلاف على مر العصور وتتابع الأزمان.
- وقد يتوهم أن الخلاف في عدد الآيات يعني الخلاف في ترتيبها، فقد جاء أن عدد الآيات ستة آلاف آية فقط، ومنهم من زادها مئتين آية وأربع، وقيل: وأربع عشرة، وقيل وتسع عشرة، فهذا الخلاف في العدد لا يعني أبدا الخلاف في ترتيب الآيات داخل السورة ولا يفيد تغير بنيتها اللفظية التي تقوم عليها، ذلك أن سبب اختلاف السلف في عدد الآيات ناتج عن وقوف النبي ﷺ على رؤوس الآي، فإذا علم محلها وصل للتمام فيحسب السامع حينها أنها ليست بفاصلة، كما أن بعض السلف يعد البسمة آية من كل سور وبعضهم لا يعدها، فيكون الفارق في عدد الآيات بمقدار عدد السور⁽⁵⁾.

⁽¹⁾ البرهان في ترتيب سور القرآن أحمد بن إبراهيم ابن الزبير الغرناطي ص 182، وهو ما نص عليه ابن عقيلة في الزيادة والإحسان 6/2.

⁽²⁾ البرهان في علوم القرآن للزركشي 323/1.

⁽³⁾ الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، 205/1.

⁽⁴⁾ روح المعاني، الألوسي، 26/1.

⁽⁵⁾ انظر: البرهان في علوم القرآن للزركشي 1/318، وانظر المسألة بشكل مفصل في ((الزيادة والإحسان))

المطلب الثاني: علاقة المناسبات بحكم ترتيب الآيات في السورة الواحدة:

إن مما تجدر الإشارة إليه في معرض الحديث عن ترتيب الآيات في السور القرآنية وجه تعلق هذا الحكم وارتباطه بما تميزت به السور القرآنية من خلال الوحدة الموضوعية والكتلة الأسلوبية، وهو ما يقطع التفكير في أي احتمال لكون ذلك الترتيب اجتهاداً من الصحابة، وهذا ما يعبر عنه علماء التفسير وعلوم القرآن بعلم المناسبة وهو علم ارتباط أي القرآن بعضها ببعض، وهو علم يقوم على مبدأ التوقيف الذي أجمعت عليه الأمة في قضية الترتيب وترجع أصالته إلى علم مراعاة النظر الذي يدرس في علوم البديع البلاغية، ذلك أن الآيات ما رتب هذا الترتيب المنتظم إلا بوحي من الله تعالى وعلّة منطقية عرفها من عرفها وغابت عن جهلها، حيث يعتبر أهل التفسير والمنشغلون بعلوم القرآن مراعاة النظر للنظر بمفهومه اللغوي البلاغي مفتاحاً للحديث عن قضية المناسبات، فلإن كان الكلام البشري يمدح إن تشابهت أطرافه وارتبطت موضوعاته فهو في القرآن الكريم من باب أولى، وقد ألفت في ألوان هذا العلم العديد من الدراسات والأبحاث المعنية بأوجه الإعجاز القرآني⁽¹⁾ بعضها تناول المناسبات عموماً وبعضها أفرد ألواناً منها، ومن أشهر ما ألفت في ذلك كتاب البقاعي نظم الدرر في تناسب الآي والسور ومن وقف مع الرازي في تفسيره الكبير وجد أنه ملك المناسبات القرآنية وفاطر بئرهما ومن طلب شيئاً لم يجده عند البقاعي فإنه غالباً سيجد ضالته عند الرازي، وقد ألفت مؤخراً دراسة في علم المناسبات أشرف عليها جملة من المختصين في علوم القرآن بعنوان: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم بين فيما المؤلفون أنواعاً كثيرة من المناسبات المتنوعة تصلح للدراسة والمقارنة بين مناهج المفسرين الذين قالوا بها².

يتبين لنا من خلال هذا العرض الموجز: أن ترتيب الآيات في سور القرآن أمر توقيفي من غير خلاف حقيقي بين المفسرين والمحدثين، ولذلك بُنيت الآيات في سورها بناءً محكماً لا يقبل التبديل ولا التغيير، ونتيجة لهذا الحكم قم علم المناسبات وأما من أنكره فإنه لم ينكر الأصل الذي قام عليه وهو توقيف ترتيب الآي وإنما صوراً رأى أنها من باب التكلف ونحو ذلك.

(1) ألف الإمام البقاعي كتاباً كبيراً في تناسب الآيات والسور. سماه: ((نظم الدرر في تناسب الآيات والسور)) 22 مجلداً.

(2) ينظر ينظر التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، د. مصطفى مسلم ومن معه، جامعة الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، 2010م، ط1.

المبحث الثالث: حكم ترتيب سور القرآن:

المطلب الأول: أقوال العلماء في حكم ترتيب سور القرآن:

في ترتيب السور ثلاثة آراء:

- أ- إن ترتيب جميع السور توقيفي ويستدل أصحاب هذا الرأي بأمر منها:
- قصة معارضة جبريل القرآن مع النبي ﷺ، وقالوا: هذا يعني أن جبريل كان يقرأ القرآن مرتباً بسوره وآياته.
- وأقوى أدلة هذا الفريق هو: إجماع الصحابة رضوان الله عليهم على المصحف العثماني وحرقيهم لجميع المصاحف المختلفة الترتيب في السور⁽¹⁾.
- وقد بنى عدد كبير من المفسرين على عذا القول قضية المناسبات ومن أبرزهم:
- أبوبكر النيسابوري²: وقد نسب كثير من أهل العلم نشأة هذا العلم على يديه في بغداد.
- فخر الدين الرازي (606هـ): وقد أكد من خلال تفسيره دقة هذا العلم، وأن حقيقته لا تخفى على صاحب البصيرة.
- أبو الحسن الحرالي المغربي (637هـ): وقد زعم المناوي في الكواكب الدرية أن البقاعي ما جاء بجديد في هذا العلم على ما ذكره الحرالي المغربي³.
- أبو جعفر الغرناطي (708هـ) صاحب كتاب البرهان في ترتيب سور القرآن.
- البقاعي (885هـ): وهو أحد أهم شيوخ هذا الفن، وإليه ينسب الفضل الأكبر في تأصيله وجمع شتات أبوابه وذلك من خلال كتابه: (نظم الدرر في تناسب الآي والسور).
- السيوطي (911هـ): فقد أُلّف في ذلك: (تناسق الدرر في تناسب السور) و (أسرار التنزيل).
- ومن المعاصرين: سيد قطب في (ظلال القرآن والتصوير الفني في القرآن)، عبد الله الغماري في (جواهر البيان في تناسب سور القرآن)، مصطفى المراغي وظاهر الجزائري والفراهي ومصطفى مسلم وغيرهم.

(1) وممن قال بهذا القول أبو جعفر النحاس، وهو منسوب لعلي بن أبي طالب ﷺ، والكزّمانى، وأبو بكر بن الأنباري، انظر البرهان في علوم القرآن للزركشي 1 / 326 - 328، وهو قول ابن الزبير الغرناطي والخطابي، انظر: البرهان في سور ترتيب القرآن لابن الزبير الغرناطي ص 183 - 184، وهذا ما رجحه ابن عقيلة المكي في كتابه الزيادة والإحسان 2 / 12.

² وقد اختلف كثيراً في ترجمته وفي تحديد سنة وفاته، ينظر الأنيس، د.عبد الحكيم الأنيس، أضواء على ظهور علم المناسبة القرآنية، مجلة الأحمدية، الإمارات-دبي، العدد الحادي عشر، 1423هـ، ص:15.

³ الكواكب الدرية، المناوي (465/2).

ب- إن ترتيب جميع السور اجتهادي، ويستدلون على ذلك بأمر منها:

- حديث عائشة رضي الله عنها في قصة الرجل العراقي الذي سألها عن تأليف القرآن، قال: يا أم المؤمنين أريني مصحفك، قالت لم؟ قال: لعلي أولف القرآن عليه فإنه يُقرأ غير مؤلف، قالت: وما يضرك أيُّه قرأت قبل!⁽¹⁾

وهذه القصة وقعت بعد إرسال عثمان رضي الله عنه المصحف إلى الأمصار بدليل أن الذي حدّث بها عن عائشة يوسف بن ماهك كان بحضرتها عند مجيء ذلك العراقي، ويوسف هذا تابعي لم يدرك زمان إرسال عثمان للمصاحف إنما كان بعدها، قال الحافظ ابن حجر: (ذكر المزي أن روايته عن أبي بن كعب مرسله وأبي عاصم بعد إرسال المصاحف على الصحيح).⁽²⁾

- اختلاف مصاحف الصحابة في ترتيب السور، فترتيب مصحف علي رضي الله عنه يختلف عن ترتيب مصحف ابن مسعود رضي الله عنه وهو غير ترتيب مصحف ابن مسعود رضي الله عنه، ولذلك قالوا: لو كان الترتيب توقيفياً لما اختلفوا وقالوا: إن النبي صلى الله عليه وآله فوّض ذلك إلى أمته من بعده.⁽³⁾

وقد جاء رجل إلى ابن مسعود رضي الله عنه فقال: إني أقرأ المفصل في ركعة فقال: أهدأ كهذا الشعر، ونثرا كنثر الدقل؟! لكن النبي كان يقرأ النظائر السورتين في ركعة: النجم والرحمن في ركعة واقتربت والحاقة في ركعة والطور والذاريات في ركعة وإذا وقعت ونون في ركعة وسأل سائل والنازعات في ركعة وويل للمطففين وعبس في ركعة والمدثر والمزمل في ركعة، وهل أتى ولا أقسم بيوم القيامة في ركعة وعم يتسائلون والمرسلات في ركعة، والدخان إذا الشمس كورت في ركعة.⁽⁴⁾

ويمكن أن يدفع هذا القول: أن هذا كان اجتهاداً من الصحابة وهي مصاحف خاصة بإصحابها، وأيضاً كان هذا قبل العرض الأخيرة التي استقر فيها أمر القرآن، أحكاماً وترتيباً. وقد اعتمد على هذا القول كثير ممن أنكروا القول والاشتغال بعلم المناسبات ومن أبرز من أنكروا المناسبات وزعم أن معظمه قول على الله بغير علم:

(1) أخرجه البخاري، في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب تأليف القرآن، برقم 4707، (185/6).

(2) يراجع ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، (39/9)، وتهذيب الكمال للمزي (452/32).

(3) وهو قول: مالك، والقاضي أبو بكر بن الطيب، والجمهور من العلماء كما نصا على هذا الزركشي في البرهان (324/1)، وهو ما ذكره السيوطي في إتيقانه 1/205 - 206.

(4) أخرجه أبوداود في سننه، كتاب أبواب قراءة القرآن وتحزيبه وترتيبه، باب تحزيب القرآن، برقم (1396)، (56/2).

- العز بن عبد السلام (660هـ): وله في ذلك قصة مشهورة في إنكاره على تفسير الحرالي المليء بذكر المناسبات وأنواعها المختلفة¹.

- الشوكاني (1250هـ): فإنه قد نص على ذلك بقوله: ((اعلم أن كثيرا من المفسرين جاءوا بعلم متكلف، وخاضوا في بحر لم يكلفوا سباحته، واستغرقوا أوقاتهم في فن لا يعود عليهم بفائدة، بل أوقعوا أنفسهم في التكلم بمحض الرأي المنهي عنه في الأمور المتعلقة بكتاب الله سبحانه، وذلك أنهم أرادوا أن يذكروا المناسبة بين الآيات القرآنية المسرودة على هذا الترتيب الموجود في المصاحف، فجأؤوا بتكلفات وتعسفات يتبرأ منها الإنصاف، ويتزهد عنها كلام البلغاء فضلا عن كلام الرب سبحانه، حتى أفردوا ذلك بالتصنيف، وجعلوه المقصد الأهم من التأليف، كما فعله البقاعي في تفسيره))².

- محمد الغزنوي: وله في إنكار المناسبات كلام شديد اللهجة، يأتي بيانه في موضعه.

ج- إن ترتيب بعض السور توقيفي وبعضها الآخر اجتهادي:

وقد وصف الزرقاني هذا القول بأنه أمثل الآراء، وإليه ذهب عدد من فطاحل

العلماء⁽³⁾.

لكن أصحاب هذا الرأي وإن اتفقوا على هذا التقسيم إلا أنهم اختلفوا في مقدار

التوقيفي والاجتهادي اختلاف واسع ولهذا فإن هذا القول غير منضبط عند أصحابه.

¹ ينظر شهاب الدين أحمد بن محمد المقرئ التلمساني (ت: 1041هـ)، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1997، (188/2).

² ينظر بتمامه عند الشوكاني، محمد بن علي بن محمد الشوكاني (1250هـ)، فتح القدير، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، 1414هـ، (85/1).

⁽³⁾ انظر: مناهل العرفان في علوم القرآن الزرقاني 1/ 244.

المطلب الثاني: بيان الراجح في مسألة ترتيب سور القرآن ومناقشة الأقوال الأخرى: الترجيح:

على أية حال، فإن الذي لا مجال للشك فيه أن كتاب القرآن الكريم بترتيبه المعروف - في السور والآيات - الذي على ما هو عليه الآن قد أجمعت الأمة الإسلامية سلف وخلفاً عليه منذ الجمع الأول في عهد أبي بكر رضي الله عنه، والثاني في عهد عثمان رضي الله عنه، وحتى عصرنا الحاضر. لهذا فإن يترجح بعد الدراسة والتدقيق أن الرأي الأول هو أولى الأقوال بالأخذ والاعتبار؛ لأن إجماع الصحابة رضوان الله عليهم وإقرارهم كاف لدلالة على توقيف ترتيب السور، ولا نعلم عنهم خلافاً في هذا الجمع الذي نقل إلينا عنهم، فكفى بذلك دليلاً وبرهاناً. ولأن عرض النبي صلى الله عليه وسلم القرآن على جبريل كل سنة ظاهره أنه كان يتبع ترتيب في سورة كما يتبع ترتيب في آية، وهذا الترتيب لسور القرآن بينته السنة الصحيحة التي تفيد أنه صلى الله عليه وسلم كان يقرأ عدداً من السور مرتباً على النحو الذي نراه في المصحف، كقراءته بالمفصل في ركعة، وما دام أنه كان يقرأ بعض السور مرتب على نحو ما في المصحف، فالظاهر أن ذلك إنما كان لأن القرآن كان مرتب على هذا النحو حينئذ، فيبعد أن بعضه كان مرتب دون البعض الآخر ويظل احتمال معرفة الصحابة لهذا الترتيب من النبي صلى الله عليه وسلم هو الأرجح وأيضاً: ليس هناك دليل - على ما يبدو - للقول بأن جمع أبي بكر رضي الله عنه للقرآن لم يكن مرتب السور خاصة أنه قد عرف أن الصديق كان أول من جمع القرآن بين اللوحين - وهي تسمية تدل على أنه كان مرتباً - ولا دليل في تسمية جمعه بصحف على أنها لم تكن مرتبة السور حتى رتبها الصحابة حين نسخوا المصحف في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه. فهذا هو الراجح في هذه المسألة وهو ما يتصوره العقل أن ترتيب جميع سور القرآن توقيفي دون استثناء وقد ارتأه كثير من العلماء، ومنهم الشيخ محمد أبو زهرة حيث قال: ((إن ترتيب السور كترتيب الآيات بوحى من الله العلي الحكيم))⁽¹⁾.

(1) المعجزة الكبرى محمد أبو زهرة ص 46.

وهو الرأي الذي يؤديه الترابط القوي والتناسب البديع والتصرف العجيب بين سور القرآن بعضها مع بعض وبين آياته بعضها مع بعض أيضا. فهو الذي ينشرح له الصدر، وهو ما ذهب إليه الإمام السيوطي والبيهقي.⁽¹⁾ وعلى هذا القول بني علم المناسبة واشتغل فيه أهل العلم بخلاف من نظر إلى أن ترتيب سور القرآن أمر توفيقى فإنه لم يجد حاجة علمية وضرورة بحثية في البحث عن سبب مجيء السور الفلانية بعد السور الفلانية، وهذه المسألة هي محل النزاع الأساس في قضية المناسبات بين سور القرآن فقد اختلف أهل العلم كثيرا فيها، فالذين قالوا إن ترتيب سور القرآن كان باجتهاد الصحابة لم يقتنعوا بما ذكره أهل العلم من أوجه الإعجاز التي ذكرت في كتب المناسبات بخلاف من ذهب إلى أن وضع سورة هود بعد يونس على سبيل المثال كان وحيا إلهيا يستلزم النظر في أسراره والبحث عن دوافعه.

وهنا قضية يحسن بيانها وهي أنه يمكن القول أيضا إن أصل حقيقة الخلاف في هذه المسألة صوري لا وجود له، وبيان ذلك أن المنكرين إنما أنكروا الخوض في دقائق المعاني ونفي الظاهر منها كما حذروا من التكلف والجزم بصحتها في كل آية وموضع، والحق أن هذا الكلام لا يقول به في المجمل أصحاب القول بالمناسبات فهم لا يجزمون بأوجه الترابط التي توصلوا إليها، كما أنهم ينصون على احتمال الآية أكثر من وجه، والذي يؤكد حقيقة هذا التصور وكيف أنه لا وجود لخلاف بين المدرستين هو قول الإمام الشوكاني -وهو أحد أعمدة المعارضة لعلم المناسبة- عن إنتاج البقاعي رحمه الله: ((أمعن النظر في كتاب البقاعي في التفسير الذي جعله في المناسبة بين الآي والسور علم أنه من أوعية العلم المفترطين في الذكاء الجامعين بين علي المعقول والمنقول وكثيرا ما يشكل علي شيء في الكتاب العزيز فأرجع إلى مطولات التفاسير ومختصراتها فلا أجد ما يشفي وأرجع إلى هذا الكتاب فأجد ما يفيد في الغالب))².

وعليه فإن العبارات الواردة من منكري المناسبات إنما هي في أصلها إنكار ما اعتبروه تكلفا في غير موضعه، وتلك أمور لا يقصدها أهل المناسبات ولا يسعون إليها، وإنما هو تفاوت الأفهام واتساع العقول وما قد يخفى على رجل قد يبدو جليا لآخر، وذلك فضل الله يؤتيه سبحانه من يشاء من عباده.

(1) انظر: الإتيقان 1 / 179، وقد نسب السيوطي هذا الرأي للبيهقي، ينظر المدخل إلى علم السنن للبيهقي، (501/2) وما بعدها.
(2) الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله اليميني (المتوفى: 1250هـ)، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، دار المعرفة، بيروت، (20/1).

الخاتمة:

- الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة وأتمّ التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد فهذه دراسة في حكم ترتيب سور القرآن وآياته، أجلنا فيها البصر وأمعنا النظر، فرأينا ما يأتي:
- 1- أن القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة يعتبران الأصل وما سواهما فرع عنهما، فهما عمدة في تقرير الأحكام الشرعية لمрад الله تعالى من عباده. وأن الله تعالى كما تكفل بحفظ كتابه، فقد تكفل بحفظ سنة نبيه ﷺ، فهياً رجالاً في كل عصر أقام دينه على أكتافهم لحفظ كتابه وسنة نبيه.
 - 2- إن ترتيب الآيات القرآنية في سورها وقع بتوقيفه ﷺ ولا خلاف معتبر في هذا.
 - 3- الإجماع منعقد من غير خلاف بين المسلمين على ترتيب الآيات في سورها.
 - 4- تضافرت النصوص في السنة النبوية على ترتيب الآيات في سورها وما يدل بظاهره من الآثار على أنه اجتهادي معارض ساقط عن درجة الاعتبار.
 - 5- الوحدة الموضوعية والأسلوبية التي تبدو في كثير من السور، وهو ما يقطع التفكير في أي احتمال لكون ذلك الترتيب اجتهاداً من الصحابة، وهذا يعبر عنه العلماء بعلم المناسبة وهو علم ارتباط أي القرآن بعضها ببعض وهو علم جليل ودقيق وقد ألف فيه الكثير من الدراسات والأبحاث.
 - 6- في ترتيب السور ثلاثة آراء:
 - أ- إن ترتيب جميع السور توقيفي وهو الراجح.
 - ب- إن ترتيب جميع السور اجتهادي.
 - ج- إن ترتيب بعض السور توقيفي وبعضها الآخر اجتهادي.
 - 7- إن موضوع: ((ترتيب سور القرآن وآياته وعلاقته بالمناسبات دراسة تفسيرية حديثة)) جدير بالاهتمام والعناية والدراسة، لهذا أقترح على الباحثين أن يفرّدوا في دراساتهم تفاصيل هذا الموضوع ويتوسعوا في دراسة كل فصل فيه على حدا.
 - 8- مؤلفات المفسرين وكتب علوم القرآن جديرة بالدراسة الموضوعية. ونقد رواياتها وفق مناهج المحدثين في دراسة الأسانيد والمتون.

9- البحث في منشأ الخلاف بين العلماء في موضوعات علوم القرآن عامة والمناسبات خاصة، وعدم الاكتفاء بالنظرة الوصفية العامة.

10- فهم كل مسألة قرآنية وما يتعلق بها من قضايا فالاختلاف في عدد آيات السور لا يعني أن ترتيب الآيات في السورة عمل اجتهادي، والقول بالمناسبة بين سور القرآنية ينبني على القول بأن ترتيب السور كان أمراً توقيفاً لا مجال للرأي فيه.

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين

ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين

قائمة المصادر والمراجع:

- (1) القرآن الكريم، رواية حفص عن عاصم وفق الرسم العثماني، طبعة الملك فهد، 2010م.
- (2) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت 310هـ)، جامع البيان عن تأويل أي القرآن. شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط3 - 1388 هـ 1968 م
- (3) الدكتور محمد بن محمد أبو شهبه، المدخل لدراسة القرآن الكريم. مصر- القاهرة، مكتبة السنة، (ط1) 1412 هـ - 1992 م.
- (4) ابن أبي الأصبع (ت: 654هـ)، عبد العظيم بن الواحد بن ظافر ابن أبي الإصبع العدواني، بديع القرآن، تحقيق: حفي محمد شرف، مصر، نهضة مصر للطباعة والنشر، 1995م.
- (5) ابن الزبير الغرناطي، البرهان في ترتيب سور القرآن، دراسة وتحقيق محمد شعباني، المغرب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - 1410 هـ - 1990 م.
- (6) ابن عبد البر أبي يوسف ابن عبد البر النمري القرطبي (ت 463 هـ)، الاستيعاب في أسماء الأصحاب، بيروت - لبنان، - دار الفكر، - ط1 - 1423 هـ - 2002 م،
- (7) ابن منظور الإفريقي محمد بن مكرم، لسان العرب، بيروت لبنان دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي، (ط2) 1413 هـ - 1993 م
- (8) أبو الطيب صديق بن حسن بن علي بن الحسين الفنوجي البخاري (1284-1307 هـ)، فتح البيان في مقصد القرآن، قطر، دار إحياء التراث الإسلامي، (1410 هـ - 1989 م).
- (9) أبو العلى محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري (1283 هـ - 1353 هـ)، تحفة الأحمدي بشرح جامع الترمذي: ضبطه وراجع أصوله وصححه: عبد الرحمن محمد عثمان، مكتبة ابن تيمية، 1412 هـ - 1991 م.
- (10) أبو الفضل أحمد بن حجر العسقلاني (ت 852 هـ)، تهذيب التهذيب، بيروت-لبنان، دار إحياء التراث الإسلامي ومؤسسة التاريخ العربي، (ط2) 1413 هـ - 1993 م.
- (11) أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي الكناني العسقلاني المصري الشافعي المعروف بابن حجر (773 - 852 هـ)، الإصابة في تمييز الصحابة، بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية.
- (12) أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي (ت 127هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني دار الفكر.
- (13) أبو بكر أحمد بن حنبل الرازي الجصاص (ت 370 هـ)، أحكام القرآن، لبنان، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ودار الكتاب العربي، 1406 هـ - 1986 م.
- (14) أبو بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي (468 - 543 هـ)، أحكام القرآن، تحقيق: علي محمد الجاوي، بيروت-لبنان، دار المعرفة.
- (15) أبو عبد الله شمس الدين الذهبي (ت 748 هـ)، تذكرة الحفاظ، القاهرة-مصر، أم القرى للطباعة والنشر.
- (16) أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري - (ت 256 هـ)، صحيح البخاري - بيت الأفكار الدولية، - 1419 هـ - 1998 م

- (17) أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (577 – 626 هـ)، معجم الأديباء أرشاد الأرب إلى معرفة الأديب: تحقيق الدكتور عمر فاروق الطباع، بيروت-لبنان، مؤسسة المعارف، (ط1) 1420 هـ- 1999 م.
- (18) أبو عبيد القاسم بن سلام الهراوي، فضائل القرآن الكريم، تحقيق: مروان العطية محسن خرابة ووفاء تقي الدين، دمشق، دار ابن كثير (ط1) 1415 هـ- 1995 م.
- (19) أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة (209- 297هـ)، الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي: تحقيق: أحمد محمد شاكر، بيروت – لبنان، دار الكتب العلمية.
- (20) أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (773 – 852 هـ)، فتح الباري بشرح صحيح البخاري: رقمه أحاديته: محمد فؤاد عبد الباقي راجعه: محب الدين الخطيب، بيروت لبنان، دار الفكر.
- (21) أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي (773 – 852 هـ)، تقريب التهذيب: تحقيق محمد عوام، سورية- حلب، دار الرشيد، (ط 3) 1411 هـ- 1991 م.
- (22) الإمام الحافظ أبي عبد الله الحاكم النيسابوري، المستدرک على الصحيحين، وبذيله: التلخيص للحافظ الذهبي _رحمهما الله، بيروت، الناشر: دار الكتاب العربي.
- (23) الباقلائي، إعجاز القرآن، تصدير طه عبد الرؤوف سعد، القاهرة-مصر، دار الأمين، (ط2) 1414 هـ- 1993 م.
- (24) البقاعي (ت: 885هـ)، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآي والسور، مصر-القاهرة، دار الكتاب الإسلامي، 1997م.
- (25) جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تقديم وتعليق: د. مصطفى ديب البغا، دمشق – بيروت، دار ابن كثير، ط3 – 1416 هـ- 1996م.
- (26) الحافظ شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي (773 – 852 هـ)، تقريب التهذيب: – تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت – لبنان، دار إحياء التراث العربي، 1422 هـ- 2002 م
- (27) خير الدين الزركلي، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، بيروت-لبنان، دار العلم للملايين، ط 13 – 1998.
- (28) د. مصطفى مسلم وعدد من المختصين، التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، الإمارات العربية المتحدة، المكتب العلمي-جامعة الشارقة، 2010م، ط1.
- (29) الدكتور صبحي الصالح، مباحث في علوم القرآن، بيروت – لبنان، دار العلم للملايين – (ط8) 1974.
- (30) الدكتور نور الدين عتر، القرآن الكريم والدراسات الأدبية، دمشق-سورية، مطبوعات جامعة دمشق، (ط6) 1414 هـ - 1993م.
- (31) الدكتور نور الدين عتر، علوم القرآن الكريم، دمشق، مطبعة الصباح، (ط6)، 1416 هـ- 1996 م.
- (32) شهاب الدين أحمد بن محمد المقرئ التلمساني (ت: 1041هـ)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، دار صادر، 1997.
- (33) الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله اليماني (المتوفى: 1250هـ)، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، بيروت، دار المعرفة.

- (34) الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، بإشراف مكتب البحوث والدراسات، بيروت-لبنان، (ط1) 1416 هـ - 1996 م.
- (35) الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، تونس، الدار التونسية للنشر، 1984 م.
- (36) عبد الله القرني، المناسبات في القرآن الكريم ودراسة تطبيقية من تفسير الرازي، رسالة ماجستير، السعودية، جامعة أم القرى، 1413 هـ،
- (37) عز الدين ابن الأثير أبي الحسن علي بن محمد الجوزي (ت 630هـ)، أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق: علي محمد معوض - عادل أحمد عبيد الموجود، بيروت، دار الكتب العلمية.
- (38) عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين: تحقيق: مكتبة التراث في مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، مؤسسة الرسالة - (ط1) 1414 هـ - 1993 م.
- (39) الفيروز آبادي (ت: 817هـ)، مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، بيروت، مؤسسة الرسالة، 2005 م.
- (40) محمد أبو زهرة، المعجزة الكبرى، دار الفكر العربي 1390 هـ - 1970 م.
- (41) محمد بن أبي بكر القادر الرازي المتوفى سنة 666 هـ، مختار الصحاح، بيروت-لبنان، دار الكتاب العربي.
- (42) محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، بيروت، دار الكتاب العربي، ط1 - 1418 هـ - 1997 م.
- (43) محمد بن أحمد بن عقيلة المكي (ت 1150هـ)، الزيادة والإحسان في علوم القرآن، تحقيق مجموعة من الباحثين، جامعة الشارقة الإمارات، مركز البحوث والدراسات، (ط1) 1427 هـ - 2006 م.
- (44) محمد بن عبد الله الزركشي (ت 794 هـ)، البرهان في علوم القرآن، علق عليه: مصطفى عبد القادر عطا، بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية، (ط1) 1408 هـ - 1988 م.
- (45) محمد سعيد منصور، منزلة السنة من الكتاب وأثرها في الفروع الفقهية، (القاهرة - مصر)، الناشر: محمد سعيد وهبة (ط1) 1413 هـ - 1993 م.
- (46) المستدرک علی الصحیحین: أبو عبد الله الحاكم النيسابوري وبذيله التلخيص للحافظ الذهبي. بيروت لبنان، دار الكتاب العربي.
- (47) مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، بيروت - لبنان، مؤسسة الرسالة - (ط26) 1415 هـ - 1995 م.
- (48) مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط 24 - 1414 هـ - 1993 م.
- (49) النووي، شرح صحيح مسلم، تحقيق: عصام الصبابطي وحازم محمد وعصام عامر، القاهرة، دار أبي حيان، ط 1 - 1415 هـ - 1995 م.